ذكر الله

الله ، جل جلاله ، الذات الكاملة ، واجب الوجود ، صاحب الأسماء الحسنى ، والصفات الفضلى ، واحدٌ أحدٌ ، في ذاته ، وفي أفعاله ، وفي صفاته ، خالق كل شيء ، رب العالمين ، لا إله إلا هو ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، فوق كل شيء ، وليس فوقه شيء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، ليس بجسم ، ولا صورة ، ولا محدود ، ولا متبعض ، ولا متجزء ، ولا متناه ، ولا متلون ، وهو منزه عن الزمان والمكان ، وكل ما خطر ببالك ، فالله خلاف ذلك .

علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، لا يخفى عليه إغماض الجفون ، ولا لحظ العيون ، ولا ما استقر في المكنون ، يحتاجه كلُّ شيء ، في كل شيء ، وهو غنيٌّ عن كل شيء ، لأنه متصف بالكمال التام ، في كل شيء ، فلم يسبق وجوده عدم ، ولم يلحق به فناء ، وهو غني عن أن يمده بالبقاء ، أو النفع ، أحد ، ذلكم الله ربكم ، خالق كل شيء ، لا إله إلا هو ، فأنى تؤفكون .

أما **الإنسان** فهو المخلوق الضعيف ، الذي يفتقر إلى ربه ، في كل شيء ، فجسمه مفتقر إلى الطعام والشراب ، حتى يبقى ، وقلبه مفتقر إلى الذكر ، حتى يحيا ، وعقله مفتقر إلى العلم ، حتى يرقى ؛ أغذية ثلاثة لابد منها ، حتى يحقق الإنسان وجوده ، وسلامة وجوده ، وكمال وجوده ، واستمرار وجوده .

ولنترك لعلماء التغذية شؤون تغذية الجسد ، ولندع لعلماء العقيدة شؤون تغذية العقل ، ولنتحدث عن غذاء القلب ألا وهو **الذكر** .

روى الإمام مالك في موطئه أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله** »[1] .

يبدو من خلال هذا الحديث الشريف ، أن الذكر له شأن كبير في حياة المؤمن ، كيف لا ؟ وقد ورد الذكر في القرآن الكريم ، في أكثر من ثلاثمئة آية ، تؤكد في مجموعها ، أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان ، في كل شؤونه ، وفي كل أحواله ، وفي كل أطواره ، لأنه عبادة القلب ، ولأنه عبادة الفكر ، ولأنه عبادة اللسان .

---

(١) رواه مالك ١/ ٢١١ والترمذي ٣٣٧٤ وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك .

من الذكر أن تذكر الله في **آياته الكونية** ، ومن الذكر أن تذكره في **آياته القرآنية** ، ومن الذكر أن تذكره في **نعمه** الظاهرة ، ونعمه الباطنة ، أن تذكره في **أمره ونهيه** ، أن تذكره لعباده **معرفاً به** ، وأن تـذكـره فـي **قلبـك** ، وأن تـذكـره فـي **لسـانـك** ، مسبحـاً ، وحامداً ، وموحداً ، ومكبراً ، وأن تذكر ربوبيته ، **فتوحده** في أحوالك كلها ، وأطوارك جميعها ، وأن تذكره **ذكراً** كثيراً ، ليطمئن قلبك ، ولينجلي همك ، ولينشرح صدرك ، وليتسع رزقك ، ولينصرك الله على عدوك .

ورد الذكر في القرآن الكريم ، على عشرة أوجه ؛ منها **الأمر** به مطلقاً ومقيداً ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤١] .

ومن هذه الوجوه ، **النهي عن ضده** ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر : ١٩] .

قال بعض المفسرين : نسيانهم لله عز وجل هو سبب نسيانهم أنفسهم ، فلم يعرفوا حقيقة أنفسهم ، ولا حقيقة مهمتهم في الدنيا ، ولا ما ينتظرهم من سعادة أبدية ، إذا هم أطاعوه .

ومن وجوه الذكر تعليق **الفلاح والفوز** بدوام ذكر الله ،

وكثرته ، قال تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

ومن هذه الوجوه التي وردت في القرآن الكريم ، أن الله سبحانه وتعالى ، جعل **الغفلة عن ذكر الله** ، سبباً لأكبر خسارة ، تنزل بالإنسان .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] .

ما من عطاء ، يناله المؤمن من ربه ، أعظم من أن يذكره الله عز وجل ، وذكر الله للعبد ، جزاءً على ذكر العبد لربه ، أو تذكير العبد عباد الله بربهم ، قال تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

ذكر الله غاية الغايات ، وعلة العبادات ، ومآل الطاعات ، لذلك جعله الله **أكبر من كل عباده** ، وأعظم من كل قربة ، وغاية كل عمل قال تعالى :

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧] .

وللعلماء المفسرين ، عند قوله تعالى ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

مذاهب شتى في التفسير ، فذكر الله عبادة ، هي أكبر من أية عبادة ، هذا هو المعنى الأول ، وإذا ذكرتموه في الصلاة ذكركم ، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له ، والمعنى الثالث ، وذكر الله عز وجل أكبر من أن يكون معه فاحشة ، ومنكر .

وقال بعض المفسرين : ذكر الله على حقيقته ، أكبر ما في الصلاة ، استنباطاً من قوله تعالى :

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه : ١٤] .

وفي مجمل القول ، جعل الله الذكر قرين الأعمال الصالحة ، وروحها ، فمتى خلا العمل من الذكر ، كان هذا العمل كالجسد بلا روح .

الذكر حياة للقلب ، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ :

« **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت** »[1] .

ولفظ مسلم : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » .

وقد قال بعض العلماء : الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك ، إذا فارق الماء .

وفي الحديث القدسي « **أنا عند ظن عبدي بي ، إن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إليَّ شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليَّ**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري .

ذراعاً ، تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي ، أتيته هرولةً »[1] .

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه ، وحدها ، لكفى به فضلاً وشرفاً .

الذكر يطرد الشيطان ويقمعه ، ويرضي الرحمن ويدني منه ، يزيل الهم ، والغم عن القلب ، يجلب له الفرح ، والغبطة ، يقوي القلب ، والبدن ، ينور الوجه ، والقلب ، يجلب الرزق ، يكسو الذاكر المهابة ، والحلاوة ، والنضرة ، يورث الذكر محبة الله ، التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة .

الذكر يطرد الشيطان ، ويقمعه ، يروي ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل ، وسوس ، فإذا ذكر الله تعالى خنس** » (أي تراجع) ولهذا سُمي الشيطان بالوسواس الخناس ، فعن معاذ بن جبل ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال :

« **ما عمل آدمي عملاً قط ، أنجى له من عذاب الله ، من ذكر الله عز وجل** »[2] .

وفي الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل ؛ من غيبة ،

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) رواه مالك في الموطأ والترمذي ٣٣٧٤ .

ونميمة ، ولغو ، ومدح ، وذم ، فإن اللسان لا يسكت البتة ، فإما لسان ذاكر ، وإما لسان لاغ ، فالنفس إن لم تشغلها بالخير ، شغلتك بالشر ، والقلب إن لم تسكنه محبة الله ، سكنته محبة المخلوقين ، واللسان إن لم تشغله بالذكر ، شغلك باللهو .

قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ـ٥] .

من **فوائد** الذكر ، أن في القلب قسوة ، لا يذيبها إلا ذكر الله عز وجل ، فالقلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله ذابت تلك القسوة ، كما يذوب الرصاص بالنار ، **فالذكر شفاء للقلب** ، ودواء له ، والغفلة مرض للقلب ، وهلاك له ، قال أحد العلماء : ذكر الله تعالى شفاء وذكر الناس داء .

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحياناً فننتكس

الذكر أصل **مُوالاة الله عز وجل** ، والغفلة أصل معاداته ، فإن العبد ما يزال يذكر ربه حتى يحبه ، فيواليه ، وما يزال العبد يغفل عن ربه حتى يبغضه ، فيعاديه ، وما عادى عبد ربه بشيء ، أشد عليه من أن يكره ذكره ، ويكره من يذكره ، وما استجلبت نعم الله عز وجل ، ولا استدفعت نقمه ، بمثل ذكر الله تعالى ، فذكر الله تعالى جلاب للنعم ، دافع للنقم .

ذكر الله تعالى جنة الدنيا ، فقد قال أحد العارفين : في الدنيا جنة من لم يدخلها ، لا يدخل جنة الآخرة ، إنها ذكر الله ، وأشار أحد العلماء إلى هذه الجنة فقال « ماذا يستطيع أن يصنع أعدائي بي ، جنتي وبستاني في صدري ، إن رحلت فهي معي ، لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة » .

وقال آخر : « مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها ، وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قيل له : وما أطيب ما فيها ؟ قال : معرفة الله تعالى ، ومحبته ، ودوام ذكره » .

وقال أحد الذاكرين : إنه لتمر بي أوقات ، أقول : إذا كان أهل الجنة في مثل هذا ، إنهم لفي عيش طيب .

ويُروى أن شاباً من الذاكرين ، بدرت منه هفوة حجبته عن الله عز وجل ، فضاقت نفسه ، وانقبض قلبه ، وبات ينتظر العقاب من الله ، والتأديب ، ولكن لم يحدث شيء من هذا ، فكان من مناجاته لربه أن يا رب : لقد عصيتك فلم تعاقبني ، فوقع في قلبه أن يا عبدي : لقد عاقبتك ولم تدر ، ألم أحرمك لذة مناجاتي وذكري .

وقال الحسن البصري : « **تفقدوا الحلاوة في ثلاثة ، في الصلاة ، وفي الذكر ، وفي قراءة القرآن ، فإن وجدتم وجدتم ، وإلا فالباب مغلق ، فابحثوا عن السبب** » .

الذكر **سبب لعطاء الله** عز وجل ، فالله عز وجل يعطي الذاكر

أكثر مما يعطي السائل ، في الحديث القدسي الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ عن ربه :

« من شغله ذكري عن مسألتي ، أعطيته فوق ما أعطي السائلين » .

الذكر سبب لرحمة الله ، ولسكينة القلب ، ففي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله فيه ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ، وبالمقابل **« ما جلس قوم مجلساً ، لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم ، إلا كان عليهم ترة يوم القيامة »** (أي نقصاً في حسناتهم ، وتَبِعةً يحاسبون عليها) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال : **« ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة »**[1] .

وإذا أراد العبد أن يقتدي برجل ، فلينظر هل هو من أهل الذكر ، أم من أهل الغفلة ، وهل يحكمه الوحي ، أم الهوى ، فإن كان من أهل الغفلة والهوى ، كان أمره فرطاً .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

[الكهف : ٢٨] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان وهو حسن .

ذكر الله سبحانه وتعالى يؤنس المؤمن ، ويرقى به ، وذكر الله تعالى يجب أن يكون كثيراً ، لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٤١ـ٤٤] .

من **أنواع** الذكر ؛ أن تذكر **اسم الله** ، أن تقول الله ، الله ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾[المزمل: ٨] ، ومن أنواع الذكر ، أن **تسبحه** ، أن تقول سبحان الله ، ومن أنواع الذكر ، أن **تحمده** ، أن تقول الحمد لله ، ومن أنواع الذكر ، أن **توحده** ، أن تقول لا إله إلا الله ، ومن أنواع الذكر ، أن **تكبره** ، أن تقول الله أكبر ، فالعبرة للمقاصد والمعاني ، وليس للألفاظ والمباني ، فسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، تلك هي الباقيات الصالحات ، التي قال الله تعالى عنها :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] .

وعندما وصف الله تعالى تسبيحه ، وحمده ، وتوحيده ، وتكبيره ، بأنها **باقيات صالحات** ، وصف زينة الحياة الدنيا ، بشكل ضمني ، بأنها الفانيات الزائلات ، فالدنيا عرض حاضر ،

يأكل منه البر والفاجر ، وأن هذه الفانيات قد تكون سبباً لشقاء الإنسان ، وهلاكه ، إذا ألهته عن ذكر الله .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] .

ومن أنواع الذكر أن **تستغفره** ، قال تعالى :

﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ [نوح : ١٠-١٢] .

ومن أنواع الذكر أن **تدعوه** ، فالدعاء هو العبادة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ومن أنواع الذكر ، أن تذكر **أمره ونهيه** ، وحلاله وحرامه ، ووعده ووعيده ، وجنته وناره .

ومن أنواع الذكر ، أن تذكر **أعمال الذين أنعم الله عليهم** من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن تبتعد عن المغضوب عليهم ، وعن الضالين ، والمضلين ، كي تصح عبادتك .

ومن أنواع الذكر ، أن تذكر **آياته القرآنية** ، قال تعالى :

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

فلا يحزن قارىء القرآن ، ومن تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت .

ومن أنواع الذكر ، أن تذكر آياته التكوينية ، أي أفعاله ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾

[غافر : ٥١] .

ومن أنواع الذكر ، أن تذكر آياته **الكونية** ، فالمؤمنون الصادقون يتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ويقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانك فقنا عذاب النار ، والله تعالى يقول :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

* * *

من الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل ، والتي بثها في الآفاق ، **التجاذب الحركي** فيما بين الكواكب والنجوم ، هذا

التجاذب ينتظم الكون كله ، بدءاً من الذرة ، وانتهاء بالمجرة ، فالشمس مثلا تجذب الأرض إليها بقوة هائلة ، بحيث تجري الأرض في مسار مغلق حول الشمس ، ولو انعدم جذب الشمس للأرض ، لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس ، ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني ، حيث الظلمة والتجمد ، وبزوالها عن مسارها ، أي بانحرافها عنه ، تزول وتنعدم الحياة فيها ، إذ تصل حرارتها إلى درجة الصفر المطلق ، قال تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

ولو أردنا من باب الافتراض ، أن نستعيض عن قوة جذب الشمس للأرض بأعمدة من فولاذ ، نربط بها الأرض بالشمس ، لاحتجنا إلى مليون مليون حبل ، أو عمود فولاذي ، طول كل حبل مئة وستة وخمسون مليون كم ، وقطره خمسة أمتار ، وكل حبل من هذه الحبال ، يتحمل من قوى الشد ، ما يزيد على مليوني طن ، أعرفتم ، كم هيَ قوة جذب الشمس للأرض ، ثم إذا زرعنا هذه الحبال على سطح الأرض المقابل للشمس ، لفوجئنا أننا أمام غابة من الأعمدة الفولاذية ، بحيث تقل المسافة بين العمودين عن قطر عمود ثالث ، هذه الغابة من الأعمدة ، تحجب عنا أشعة الشمس ، وتمنعنا من كل حركة ونشاط ، كل هذه القوة ، قوة جذب الشمس للأرض ، والتي تزيد على مليوني طن ، مضروبة بمليون مليون ، من أجل أن تنحرف الأرض عن

مسارها المستقيم ، ثلاث ميليمترات في كل ثانية ، من أجل أن تشكل مساراً مغلقاً حول الشمس ، الآن لندقق في قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] .

أي بعمد لا ترونها ، إنها قوى التجاذب ، كلمة « ترونها » صفة لعمد ، وهي قيد لها ، وهي تفيد فيما تفيد ، أن الله رفع السماوات بعمد ، لا نراها ، إنها قوى التجاذب الحركي ، التي تنتظم الكون كله قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

﴿ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

هذه آية من آيات الآفاق ، فماذا عن بعض آيات النفس .

لو أن رجلاً كان يتنزه في بستان ، ولمح فجأة حشرة مؤذية قاتلة ، فما الذي يحدث في جسمه ، ينطبع خيال هذه الحشرة على شبكية العين إحساساً ، وينتقل هذا الإحساس الضوئي إلى المخ إدراكاً ، وعندها يأمر المخ الغدة النخامية ، ملكة الجهاز الهرموني ، يأمرها أن تواجه هذا الخطر بحكمتها ، هذه الملكة الغدة النخامية التي لا يزيد وزنها على نصف غرام ، هذه الغدة

تصدر أمراً هرمونياً لغدة الكظر فوق الكليتين ، كي تعطي الجسم الجاهزية القصوى ، لمواجهة الخطر والكظر بدوره يعطي **أولاً** أمراً هرمونياً إلى القلب ليسرع نبضاته ، فالخائف تزداد نبضات قلبه ، ويعطي الكظر أمراً هرمونياً **ثانياً** إلى الرئتين ، ليتوافق وجيبهما مع ازدياد نبضات القلب ، الخائف يزداد وجيب رئتيه (أي يلهث) ويعطي الكظر أمراً **ثالثاً** هرمونياً إلى الأوعية الدموية المحيطية فتضيق لمعتها ، ليتجول الدم في العضلات بدل الجلد ، الخائف يصفر وجهه ، ويعطي الكظر أمراً هرمونياً **رابعاً** للكبد ، ليطرح في الدم كمية إضافية من السكر ، لأنه وقود العضلات ويعطي الكظر أمراً هرمونياً **خامساً** فترتفع نسبة هرمون التجلط لئلا ينزف الدم سريعاً ، كل هذا يتم في لمح البصر ، والإنسان لا يعلم ماذا يجري في جسمه ، هذا خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

من أنواع الذكر ، أن تذكر العباد بربهم ، أن تدعو إليه معرفاً إياهم ، بوجوده ، وكماله ، ووحدانيته ، معرفاً إياهم بكتابه الذي يهدي للتي هي أقوم ، معرفاً إياهم برسوله صاحب الخلق العظيم ، وبسنة رسوله ، وبسيرته ، مخاطباً عقولهم تارة ، وقلوبهم تارة أخرى ، أن تذكرهم ، وأن تكون قدوة لهم ، قال تعالى :

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة : ١٥١] .

* * *

كما اهتديت إلى الله ؛ اسع في هداية الخلق ، كن هادياً مهتدياً ، كن صالحاً مصلحاً ، وهذا من أعظم أنواع الذكر ، إنه عمل الأنبياء والمرسلين ، إنه عمل الصديقين والموحدين ، إنه عمل العلماء العاملين المخلصين ، إنهم السابقون السابقون في جنات النعيم ، وقد وسع الإمام النووي ، رحمه الله تعالى ، مفهوم الذكر ، فقال : اعلموا أن فضيلة الذكر ، غير منحصرة في التسبيح ، والتهليل ، والتحميد والتكبير ، ونحوها ؛ بل كل عامل لله تعالى بطاعته ، هو ذاكر له ، أية طاعة تطيع الله بها ، فأنت ذاكر له .

* * *